عاد اعلام الكفر وازداد الشرك واما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن دينهم
مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا والحدهم معه على غشو مما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من الموالاة وما ذاك الا العرق
من الالحاد ابى الا ان ينبض وصب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم
كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير
دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا
يجيزون الثواب من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس
واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه
ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور
بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقوم كونوا شهداء على اني لا افعل
فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح
ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة
المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل
لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم
الهة من دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك
سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف
معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف
تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه
وكلاءته مؤكدا وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته
وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل كذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق
والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان
قبل التولي فكيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين
بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف
يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه
لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء
حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها
حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف
فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ
على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في
انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم
واثارهم فكانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد

من رسله

من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله و
الا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم
فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين
له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت
ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل
فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم
والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق ادم من
التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك
فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال [illegible] مع ما كان فيهم من عسف
الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية
بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض في اخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به
ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما
ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم
والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها
عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح
فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير
فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا
وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه
اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على
الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين
فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني
من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما
تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون اية نصب على الحال
قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت باية حالا منها متقدمة
لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها
بشيء يسير وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه
يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد
وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع
في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل
للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود
والمعقول وكالمصدوق بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله
على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لانه تقدير ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم